

نداء المحبّة الدائم



يا ربِّ، كيف لا ينفتح عليك عبادك بكلِّ الأمل والرجاء في القرب إليك مهما ابتعدت بهم الذنوب عن ساحة قدسك، وأنت الذي لا تترك مجالاً لانفتاحهم عليك إلا لتفسح لهم أكثر من فرصة لذلك، لأزكّ تعرف سرهم وعلايتهم في ما ينحرفون فيه عن الطريق، أو في يمارسونه من الخطيئة، انطلاقاً من مواقع الاهتزاز في مشاعرهم، وعناصر الإثارة في غرائزهم وإيحاءات الانحراف في أوضاعهم، مما يحتاجون فيه إلى الكثير من الرحمة التي تجتذبهم إلى الخير وتبعدهم عن الشرِّ، في ما تهيبُّ لهم من ظروف التراجع عن ذلك كلّاه، عندما يواجهون أُلطاف الخير في شخصياتهم من خلال الإيحاء الروحي بأنَّهم يدعوهم إلى العودة إليه وإلى الثبات في مواقع رضاه، وإلى الاتجاه نحو الهدوء في العقل، والاستقامة في الخطوات إلى الطريق المستقيم، ليكون الانحراف في حركتهم مجرد حالةٍ طارئة لا تستقر في الاتجاه، ويكون الاهتزاز في مناطق الإثارة مجرد وضعٍ سريع لا يلبث أن يزول بفعل عناصر الثبات في الإيمان وفي التقوى. وهكذا دعوتُ عبادك إلى عفوك، ولكن لا ليحصلوا عليه بدون إرادة أو معاناة.. بل أردت لهم أن يحصلوا عليه من خلال الباب الروحي الذي يمتزج فيه الوعي للمسألة الإلهية في المسألة الإنسانية في ما هو حقٌّ إلا على عباده من الإحساس بالعبودية المطلقة التي لا يملكون معها أيَّ شيء من حرّية الاختيار خارج نطاق الطاعة، كما يتداخل فيه الشعور بالندم على الخطيئة بالعزم على تصحيح خط السير في اتجاه

لهم هذا النور الذي ضاع منهم بعضه بفعل ظلام الخطيئة، وتغفر لهم حتى تكون الحياة لديهم نوراً في حركة الإيمان والطاعة ونوراً في حركة العفو والمغفرة، وهكذا يبتهل إليك عبادك لأنك القادر على كل شيء، والمهيمن على الوجود كله وعلى الجزاء كله، فأَيُّ ربِّ عظيم، أنت يا ربِّ، وأَيُّ خالق رحيم أنت يا ربِّ.